

المرأة العصرية تتصالح مع مرحلة الوقار

قبول النساء للشعر الأبيض مفتاح لعيش حياة أفضل



الأبيض تقليعة وليس تقاطعا مع مرحلة عمرية

عكس مسارها، ولكن من خلال الاعتراف بما تتضمنه مراحل الحياة من صعود وهبوط سيكون بمقدور المرأة جعل حياتها رحلة مبهجة. ووفقا للبوعاني "لا يعدّ العمر مشكلة بل مجرد حقيقة فيزيولوجية. تبقى حياتنا مكونة من مجموعة من الأحداث المرتبطة بعامل الزمن. وتتمثل الطريقة الوحيدة التي يمكن أن نعتمدها حتى نعيشها كما يجب في تقبل هذه الحقيقة عوضا عن محاولة تغييرها.. وبعبارات أخرى، يمكننا أن نعتبر قبول النساء للشعر الأبيض مفتاحا لعيش حياة أفضل بنفسية أقوى".

الخاصة، وأن التقسيمات التي صيغت لتحديد فترات الحياة: الطفولة، المراهقة، الشباب، فالكهولة، ليست سوى مراحل عمرية قد يمارس الأشخاص وفقها واجباتهم القانونية، لكنها لا تجبرهم على عدم الاهتمام بمظهرهم الخارجي وبمراعاته. فطبيبة والكاتبة المصرية، نوال السعداوي، على سبيل المثال، لم تمثل يوما للقواعد أو السلوكيات التي تجبر المرأة بشكل غير مباشر على الجلوس طويلا داخل صالونات الحلاقة حتى ترصي ذاتها من حولها، بل قضت جل وقتها بين الكتب وقاعات المحاضرات والنقاشات البناءة.

لم تحجل يوما من الظهور بشعر غير مرتب يكسوه البياض، بل دعت إلى التخلص من كل ما يكبل المرأة حتى وإن كان هذا القيد جسديا.

تحد اجتماعي

لفت سعيد السكري، كوافير بالتلفزيون المصري، إلى أن "تقليعة اللون الأبيض ظهرت منذ سنتين، كانت حينها موضة تعتمد على درجات الرمادي أو صبغ خصلات من الشعر بالأشقر الرمادي الفاتح أو استخدام ما يسمى 'هايلابيت الشعر' وهي عملية يتم فيها سحب لون جزئي للشعر".

وأضاف السكري لـ"العرب" "مع الوقت وتجارب التفتيح المستمر للرمادي استساعت الكثير من الفتيات اللون الناتج عن عمليات التفتيح، لاسيما مع ما لمسناه من نظرات الإعجاب وعبارات الإطراء، إلى جانب أنهم وجدوا أنه يعطيهم مظهرا جذابا".

وتابع "في البداية اقتصر صبغ الشعر بالأبيض على الجزء السفلي من الشعر ثم بعد ذلك ظهرت موضة صبغ كامل الشعر بالأبيض، وأكثر المقبلات على ذلك من الجيل الأصغر سنا من الراغبات في الحصول على إطلالات جديدة وفريدة".

لكن السكري يرى أن هذا اللون غالبا ما لا يناسب الكبار لأنه يكشف عن تقدمهم في السن، مشيرا إلى أن بعض السيدات يعتمدن على صبغ شعرهن باللون الأبيض في عملية تمويه لإخفاء الشعر الأبيض الطبيعي بصيغة تعطي درجة لون مختلفة. وقال سعيد في خاتمة حديثه إن "موضة الأبيض لن تدوم طويلا مثلها مثل ما سبقها من ألوان اعتمد بعضها الأزرق أو البنفسجي أو الأحمر.. كانت كلها موضة اتبعها الكثير من الناس في وقت ما.. هذه الإطلالات بالأساس ظهرت في المناخ الغربي، وقلدتها الفتيات حبا لنجمتهن المفضلات".

ويقطع النظر عن ارتباط المسألة بالموضة أو التصالح مع الذات، فإنه لا يوجد ما يمكن أن يساعد على إبطال الآثار الناجمة عن الشيخوخة، أو

وأضافت مواطنتها التونسية نادية رديسي "لم يسبق لي أن صبغت شعري بالأبيض، كما أن الفكرة لم تراوذي من قبل، أحيانا أصبغ بعض خصلات شعري بـ'المماش الأبيض'، لكن لا أتصور أن أصبغ شعري يوما ما بالأبيض".

وأفادت ليلي الريدي بأنها لا تحبذ اللون الأبيض على الرغم من أن الشيب قد كسا شعرها، مؤكدة استحالة ترك شعرها أبيض مطلقا.

وفسر الرديعان ذلك في حديثه لـ"العرب" قائلا "صغيرات السن قد يلجأن إلى الصبغة البيضاء لكن دوافعهم مختلفة فهن تحت وطأة التائر بالمشاهير وليست لديهن مشكلة عميقة مع العمر وقضية التقدم في السن. أما التي تقدمت في السن فإنها تحتمل مستشعر بوطاة الزمن ومن ثم لن تنجرف خلف موضة النجمات وتقليعاتهن.. على الأقل سيكون عمر هذه المرأة متقدما بمعنى أنها صارت ناضجة بما يكفي للتفريق بين تقليعة قد تزول بعد فترة وواقع يقول لها إنك تتقدمين في السن سيدتي".

وأضاف "قد تلجأ سيدة لديها القليل من الشعر الأبيض الذي يخالف شعرها الأسود إلى إضافة القليل من البياض إلى ما هو موجود كنوع من التمويه للقول إن كل هذا البياض هو 'صبغة' وذلك كحيلة نفسية للقول إنها ما زالت شابة".

ويعتبر عالم الاجتماع السعودي أن هذا الأمر شبيه بموضة ترتفع وتهبط. يأتي مشهور آخر -أو مشهورة- ويستخدم لونا آخر ثم تختفي ظاهرة الصبغة البيضاء، متابعاً "أتذكر في بداية الثمانينات (1981 - 1982) شيوع ظاهرة المشي دون أحذية ليم ما لبثت هذه الموضة أن اختفت ربما بسبب بعض القوانين التي كانت تمنع دخول المطاعم والمحال التجارية من دون أحذية".

وأشار إلى أن هذا يمكن أن يكون تقليداً اتساقاً مع نظرية جيرانييل تارد في المحاكاة وأن بعض السلوكيات هي محاكاة للأخريين أو تقليد لما يقومون به من باب الإعجاب. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لأنه يحقق لهم حاجات نفسية واجتماعية".

وأوضح أن سعي الفتيات "للحصول على قبول زميلاتهن يدفعهن إلى سلوك هكذا.. إنهن بذلك يعززن فكرة الانتماء إلى المجموعة التي تقاربهن في العمر. لا ننسى كذلك أنهن يقعن تحت تأثير الميديا بصورة أكبر من غيرهن، ولا ننسى أن الرجل الشرقي عموما يتوقع من السيدة أن تكون جميلة مع التذكير بأن معايير الجمال تصنعها اليوم الميديا وليس الثقافة المحلية كما في السابق".

وشدد الرديعان في خاتمة حديثه على أن "ذاتة الرجل في ما يتعلق بجمال المرأة ليست ثابتة، إنه يرى المشهورات في الميديا ومعظمهن ممشوقات القوام وصبغات شعر قد تراها غريبة لكنها أصبحت مقبولة من قبل الشباب".

ويؤكد اختلاف الذائقة التي تحدث عنها عالم الاجتماع السعودي أن كل ثقافة تعبر عن الشيخوخة بطريقتها

بالأونوة وبالإطلالات التي لا تدل على تقدم صاحبها في السن، تتبع النساء بعض الطرق المختلفة حتى لا يترك أي أثر من علامات الشيخوخة على أجسادهن. ومن بين هذه الطرق، يتعمدن إخفاء شعرهن الرمادي بأي ثمن لأنه يعدّ مرادفا للشيخوخة، ونهاية مرحلة الشباب، ونهاية الأونوة، وهو الأمر الذي يعتبره الأخطر. يرتبط هذا مباشرة بنظرة النساء إلى أنفسهن مما يؤثر على ثقتهن في أنفسهن".

وأضافت البوعاني لـ"العرب" "لكننا شهدنا اتجاها جديداً انثنى فجأة في السنوات الأخيرة، إذ لاحظنا انتشار موضة الشعر الأبيض والرمادي".

وأكدت أن هذا "يدل على مستوى من الوعي الذاتي، وعلى نظرة هؤلاء النساء الإيجابية لأجسادهن. ولا ترى صاحبات الشعر الأبيض تقدمهن في السن كقيد أو عقبة في حياتهن الخاصة أو المهنية. وتعتبر هؤلاء النساء الشعر الأبيض بمثابة تحد اجتماعي يفرض على مجتمعاتهن تقبل تقدمهن الطبيعي في السن".

إكسبير الشباب

يفسر الوعي الذاتي الذي تحدثت عنه عالمة النفس التونسية سبب نزعة التحدي التي جعلت الكثير من الفتيات الصغيرات يتبعن خطى نجماتهن المفضلات دون أن يرهقن أنفسهن بالبحث بين دراسات العلماء عن إكسبير الشباب، ويؤثر على أن المرأة العصرية بدأت تعيش مرحلة التصالح مع الشيب بعد صراع طويل لإخفاء علامات التقدم في السن.

كما كتشفت الأبحاث أن الإدراك الذاتي الإيجابي للتقدم في السن أصبح يرتبط لدى المسنين بالصحة الجيدة وبنسبة وفيات أقل، وذلك عن طريق اتباع أنشطة رياضية وانظمة غذائية مناسبة، بالإضافة إلى أن معايير الجمال منذ عقود ما زالت في حالة مستمرة من التطور بسبب الإدراك المتنامي للجماليات. وهو ما ينعكس على توسع صناعة مستحضرات التجميل ذات الآثار المؤخرة للشيخوخة.

ومع ذلك لا يعتقد أستاذ علم الاجتماع بجامعة الملك سعود، خالد الرديعان، أن المرأة التي غزا شعرها بعض الشيب ستكون سعيدة بهذا الزائر حتى لو قام المشاهير باعتماد اللون الأبيض كصبغة شعر.

فئة قليلة من الناس تقبل ظهور الشيب وترى فيه مصيرا حتميا لا مفر منه، إلا أن فئة أخرى تعتبره بداية الانتكاسة، وهو ما يعرضها لضغوط نفسية، وأغلب هذه الفئة من النساء؛ إذ شددت إحدى المتحدثات لـ"العرب"، وتدعى هاجر ساحلي، على استحالة صبغها لشعرها بالأبيض حتى وإن كان من باب مواكبة آخر تقليعات الموضة، لافتة إلى أنه "يذكرني بالشيب.. نفسيا لن أتقبله".

اعتماد الكثير من النجمات العربيات والغربيات صبغة الشعر الرمادي أو الأبيض طبع العديد من الإطلالات الشبابية، حيث ظهر تنافس محوم بين فتيات في مقتبل العمر على تقليد نجمتهن المفضلات، وهو ما جعل المرأة العربية مترددة بين حالة من التصالح مع مرحلة عمرية تهابها وبين اتباع تقليعة من تقليعات الموضة.

والانطواء وإهمال المظهر، حتى لا تتباعد بينها وبين زوجها المسافات وتتقطع بينهما لغة الحوار.

ولكن بين شغف المرأة بالموضة وبين خوفها من ظهور أبرز علامات التقدم في السن تتداخل التقديرات التي أصبحت تستند أكثر إلى البعد الجمالي الذي يربط في كل ما هو مخالف وغير مالوف مظاهر مختلفة للجمال، حيث أبدت بعض المتحدثات لـ"العرب" استعدادهن للظهور بشعر أبيض، إذ أشارت فاطمة الخياري إلى أنها ولدت بغرة بياض حاولت إخفاءها بثشتي أنواع الصبغات لكنها منذ فترة طويلة تخلت عن محاولاتها وتركت البياض يغزو كامل شعر رأسها.

وشددت السيدة التونسية على أنها الآن صارت تنعم بالسلام النفسي ولن تتخلى عن كل ما كتبت تقريبا كان بقلم الرجال، والحال أن المرأة تخاف الشيب وترهبه أكثر من الرجل.

ولكن هذا بعض مما وصف به الشعراء والكتاب الشيب وغيره كثير ولم يكن كله مدحا ولا فخرا؛ كان فيه هجاء ودم، لكن اللافت أن كل ما كتبت تقريبا كان بقلم الرجال، والحال أن المرأة تخاف الشيب وترهبه أكثر من الرجل.

ولكن هذا بعض مما وصف به الشعراء والكتاب الشيب وغيره كثير ولم يكن كله مدحا ولا فخرا؛ كان فيه هجاء ودم، لكن اللافت أن كل ما كتبت تقريبا كان بقلم الرجال، والحال أن المرأة تخاف الشيب وترهبه أكثر من الرجل.

وأضافت الفالحي "لم أشعر يوما بانني جميلة كما أشعر الآن والفضل يرجع إلى شعري الأبيض". وهذا ما أكدته نظيرتها الممثلة المصرية سوسن بدر في برنامج "الستات ما يعرفوش يكذبوا (النساء لا يتكفن الكذب)". قائلة إن الشعر الأبيض أقرب إليها وإلى حقيقتها، مشيرة إلى أنها وجدت الراحة والسلام النفسي فيه. وتابعت أن جميع من حولها حاول ثنيها عن الظهور بهذه الإطلالة التي تبرز تقدمها في العمر.

واللافت للانتباه أن السنوات الأخيرة شهدت ظهور الكثير من النجمات والفتيات اللاتي في مقتبل العمر بشعر أبيض أو رمادي، وهو ما بات حديث السوشيال ميديا والمواقع الإلكترونية.

وشكل الظهور المفاجئ للكثير من النجمات بهذه الإطلالة التي تعد مغايرة بشكل كبير لما اعتاد عليه جمهورهن، ما زلنا للبعض منهم، حيث انقسم الجمهور بين مؤيد لهم ومنقده.

وأوضحت عالمة النفس والباحثة التونسية في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، مريم كوكي البوعاني، "في مجتمع موهوس



خالد الرديعان

ذائقة الرجل في ما يتعلق بجمال المرأة ليست ثابتة.. معايير الجمال تصنعها اليوم الميديا



سعيد السكري

موضة الأبيض لن تدوم طويلا، مثلها مثل ما سبقها من الألوان كالأزرق أو البنفسجي أو الأحمر

شيماء رحومة صحافية تونسية

عبرتني بالشيب وهو وقار/ليتها عبرت بما هو عار"، بهذه الكلمات تغنى الفنان العراقي ناظم الغزالي بالشيب في الخمسينيات من القرن الماضي، فيما قال الكاتب بديع الزمان الهمذاني مَرَّحًا به "نزل المشيب فمرحبا بالنازل/إن كان ساعك طالعك بياضه/فلقد كساك بذاك ثوب الفاضل". أما شاعر المرأة نزار قباني فكتب "وأعد.. أعد.. عروق اليد/فروع بيدك.. تسليني/وخبوط الشيب.. هنا.. وهنا/تنهي أعصابي.. تنهيني".

هذا بعض مما وصف به الشعراء والكتاب الشيب وغيره كثير ولم يكن كله مدحا ولا فخرا؛ كان فيه هجاء ودم، لكن اللافت أن كل ما كتبت تقريبا كان بقلم الرجال، والحال أن المرأة تخاف الشيب وترهبه أكثر من الرجل.

جرس تنبيه

يتفق أغلب خبراء التجميل والدراسات ونتائج سبر الآراء على أن الشيب يشكل هاجسا مخيفا عند النساء وجرس تنبيه يلهمن بتقدمهن في السن، فهو غير مقبول عندهن ولا يرحبن به، وأغلب النساء يبحثن عن عدة وسائل للقضاء عليه وإخفائه.

وتبدأ أحيانا رحلة البحث عن حلول للتخلص من هذا الضيف الثقيل في سن مبكرة، حيث تعاني بعض الفتيات بسبب حالات وراثية من غزو الشعيرات البيضاء لشعرهن بشكل لافت وهن في عمر الزهور.

وعلى الرغم من أن استفتاء سابقا قامت به صحيفة "مترو" البريطانية وشمل أكثر من 4500 امرأة، أكد أن حوالي 88 بالمئة منهن يجدن أن الشعر الرمادي للرجل أكثر إشارة وجاذبية، فإنهن في المقابل يؤرقهن تسلس الخصلات البيضاء إلى شعرهن، إذ يضيف ذلك المزيد من السنوات على إطلالتهن، مما قد يصدمهن إلى حد البكاء والنحيب.

ويرتبط خوف المرأة من الشيب بامرئتين، أولهما أنه ينذرهما بوصولها إلى مرحلة عمرية متقدمة، وثانيهما أنه يخلق لديها هاجس أن زوجها يمكن أن يستبدلها بأخرى لا تزال فتية، حتى أن بعض الزوجات اشتكين من سخرية أزواجهن وتلميحاتهم، ولو مَرَّحًا، إلى ظهور الشيب في شعرهن، ناصحين إياهن بضرورة الاهتمام أكثر بمظهرهن.

وهو ما يدفع المرأة دائما إلى العمل بالحديث النبوي الشريف "المرأة الصالحة؛ إذا نظر إليها سرتة...". من خلال محاربة الشعيرات البيضاء بثشتي ألوان الصبغات، وعدم الاستسلام



فاطمة الفالحي

لم أشعر يوما بأنني جميلة كما أشعر الآن، والفضل يرجع إلى شعري الأبيض



مريم كوكي البوعاني

يمكننا أن نعتبر قبول النساء للشعر الأبيض مفتاحا لعيش حياة أفضل بنفسية أقوى